رؤية في أبعاد الحرب الأمريكية الجديدة في آسيا الوسطى

عبد الله حارم – جامعة ورقلة

تمهيد : عندما أعلنت الإدارة الأمريكية "الحرب على الإرهاب " التي تعد أولى حروب الألفية الثالثة ،فعلت ذلك معتقدة أنها تبلغ البشرية جمعاء البشارة التي تنتظرها منذ مطلع التاريخ .فهو أراد أن يقول أن الحرب هي الرسالة التاريخية للولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأتها ، باعتبارها أمة قامت أساسا على الحروب ، ولا يمكن لها أن تستمر في هيمنتها على العالم إلا بخوض الحروب في الخارج.

وبذلك حدد بوش الابن مصير الأمريكيين في الداخل بما يتحقق له من إنجازات في حربه على الإرهاب ،وهي معركة لن تنتهي في غضون سنة أو سنتين ،بل وضع لها حدا يتجاوز حتى السنوات الثماني التي يمكن أن يمضيها في البيت الأبيض في حال إعادة انتخابه لولاية رئاسية ثانية سنة 2004.

الكلمات المفتاحية : الإدارة الأمريكية– الإرهاب– آسيا الوسطى– الخاسر الأكبر– الرابح الأكبر– أحداث 11 سبتمبر– العالم الإسلامي– أفغانستان.

إن الأسئلة المطروحة : أمام الملاحظ هي:

– هل يستلزم هذا الإرهاب المنتشر حاليا بكثرة وبشكل يومي هذه الحرب ؟ وضد من تشن تحديدا؟

– هل تشن ضد المجاهدين الأفغان "المدافعين عن الحرية " بالمفهوم الأمريكي سابقا والذين تم "إعدادهم" للحرب ضد الاتحاد السوفيتي بالوكالة في مدارس السي .أي .ايه؟ أم ضد حركة طالبان التي جاءت بها إلى السلطة كل من الولايات المتحدة وحلفاؤها من الباكستانيين ؟ أم ضد العالم الإسلامي ،الذي وصفه بعضهم في الغرب بأنه العدو الجديد ؟

من وجهة النظر هذه، فان موقف الرئيس بوش بشأن الحرب يدخل ضمن منطق معد نظرية صدام الحضارات صامويل هانتينغتون، حتى وإن نفى ذلك باستمرار[1].

إن اللحظات التي تمر بها الإنسانية الآن حاسمة في تاريخ القرن الحادي والعشرين. فالحرب الحتمية ضد الإرهاب والتي تتمحور حول الخطر الإسلامي كما يدعون، كان على الأمريكيين أن يفتشوا عن الأسباب والدوافع التي قادت إلى أحداث 11ايلول/سبتمبر، والعمل على إزالتها.

وهكذا هيمنت أجواء الحرب الأمريكية على "الإرهاب " من خلال عملية حشد الجيوش التي قامت بها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية واتباعها الدوليون، وهي أكبر عملية حشد قامت بها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب الخليج الثانية / وأكبر عملية حشد عسكري دولي منذ حرب الفيتنامية .وواضح من عملية الحشد الضخمة ،المعززة بكامل أنواع الأسلحة، أن الولايات المتحدة مستعدة لخوض حرب طويلة، لا لتوجيه ضربة عسكرية ، ضد المنظمات الإرهابية ذات البعد العالمي، والدول الراعية لها فقط، وإنما ضد الدول المعادية للولايات المتحدة أيضا، والتي تملك أسلحة دمار شامل وتنتجها وكان الرئيس بوش أعلن في وقت سابق، أن الذين اختاروا الحرب ضد الولايات المتحدة اختاروا حتفهم ...وأردف أن الانتصار على الإرهاب لن يتحقق في معركة واحدة ، ولكن من خلال سلسلة من الأعمال الحاسمة ضد المنظمات الإرهابية ومن يؤوونها ويدعمونها وتعتبر السياسة والعسكرية الأمريكية أن الولايات المتحدة تواجه "الإرهاب " أي كل أشكال "التمرد والتهديد" الذي يشكل تحديا جديا للاستراتيجية الأمريكية الساعية إلى بناء نظام عالمي جديد وتحديد دور الولايات المتحدة في هذا النظام الدولي ، في بداية القرن الحادي والعشرين ويتطلب هذا استبدال عقيدة الأمن القومي التي كانت تقوم على مناهضة الشيوعية، بتبني استراتيجية حرب جديدة للقرن الحادي والعشرين، حيث بدأت هذه الاستراتيجية ترتسم خطوطها العريضة في الأفق، وإن كانت التفاصيل كلها غير معروفة بعد.

وتقوم هذه الاستراتيجية على ثلاثة أسس هي: المذهب الإستراتيجي الأمريكي : أي استخدام القوات الأمريكية لخدمة المصالح الوطنية، ومن ضمنها العمليات المشتركة مع الحلفاء وكذلك بسط النفوذ والسيطرة العالمية، أو القدرة على نشر قواتها أينما كان، و في أي وقت كان وفي أية ظروف. وأخيرا التفوق الدائم، أو بمعنى آخر اللجوء إلى العلم والتكنولوجيا والمصادر الاقتصادية من أجل ضمان التفوق الدائم للقوات الأمريكية وإذا كانت الإدارات الأمريكية استخدمت المذهب العسكري دوما كأسلوب من أجل توظيف القوة العسكرية لخدمة مصالح وأمن أمريكا[2]، فان الإدارة الأمريكية ربطت بشكل وثيق بين المصالح الوطنية الأمريكية وبين ادعاء الدفاع عن الديمقراطية أو خوض الحرب ضد ما تسميه الإرهاب، الذي تحول إلى الهاجس الرئيس للسياسة الخارجية الأمريكية بعد اعتداء يوم 11ايلول /سبتمبر .وتعاني الولايات المتحدة من الجرح النازف الناجم عن ضرب

مركز التجارة العالمي ووزارة الدفاع الأمريكية والذي يشكل بكل تأكيد انقلابا عالميا.

فمن الآن فصاعدا، سيتغير وجه الكرة الأرضية ولن يعود العالم أبدا كما كان، ولم تجد الإدارة الأمريكية بكل أركانها مصدرا لتهديد الإمبراطورية الأمريكية الجديدة. ولا شك أن الإرهاب هو العنف المضاد للعنف المعولم، أي العولمة المضادة، لعولمة العنف التي ابتدأتها الولايات المتحدة في حرب الخليج الثانية، وهي بالأساس من ابتكار الولايات المتحدة ونتاج سعيها لأن تكون مركز العالم، بوصفها إمبراطورية تريد قيادة العالم وهي حاملة المشعل الأخلاقي والسياسي والعسكري للقانون والقوة...

الحرب ضد الإرهاب هي المدخل لحرب أشمل تريد الولايات المتحدة خوضها لصوغ مستقبل التوجه الجيوسياسي لآسيا الوسطى. وفي هذا السياق سوف تكون أفغانستان مسرحا لهذه الحرب، حيث تندفع الولايات المتحدة الأمريكية نحو المصالح الاقتصادية الكامنة في آسيا الوسطى، بعد أن صار ينظر إلى موقع أفغانستان الاستراتيجي على أنه منفذ مهم لتوسيع النفوذ الأمريكي نحو آسيا الوسطى، أو للسيطرة على الاحتياطات الهائلة من النفط والغاز في بحر قزوين ونقلها إلى السوق الدولية.

كان الصراع على الثروات البترولية في هذه المنطقة هو المدخل الذي تحركت من خلاله السياسة الخارجية الأمريكية في هذه المنطقة ففي عام 1994 وقعت أذربيجان اتفاقيات حول استخراج البترول مع ثماني شركات أمريكية وبريطانية حول الجرف القاري داخل مياه بحر قزوين المقابلة لشواطئها، وهي الاتفاقيات التي شملت ثلاثة حقول كبيرة وقدرت قيمتها ب 74 مليار دولار.

وقد عارضت روسيا هذه الاتفاقيات وقالت أنها تتعارض مع الوضع القانوني لبحر قزوين التي ترفض روسيا التعامل على أنه بحرمغلق، بل بحيرة مغلقة ولا تخضع للقانون الدولي واتفاقية الأمم المتحدة لعام 1982م الخاصة بالبحار / ومعنى هذا أن الاتفاقيات التي وقعتها أذربيجان تعد غير قانونية ويجب الرجوع فيها لباقي الدول الخمس التي من حقها المطالبة بنصيبها فيها[3].

وامتد الخلاف بين روسيا والولايات المتحدة في المنطقة حول مسار خط الأنابيب لنقل النفط من بحر قزوين إلى الأسواق العالمية، وقد استخدمت الولايات المتحدة في هذا المجال أداة المساعدات والقروض المالية. فاقترح السيناتور بوب لفينجستون رئيس لجنة الاعتمادات بمجلس الشيوخ الأمريكي عام 1998 توفير اعتمادات من موازنة الدولة لمد خط أنابيب النفط من باكو إلى ميناء جيهان التركي وهو المشروع المنافس لمشروع نقل النفط الأذربيجاني عبر أراضي روسيا ...[4]

ويمكن القول أن مصالح شركات البترول الأمريكية قد شكلت ضغطا متزايدا على الإدارة الأمريكية البوشية للقيام بدور قيادي أكثر فاعلية في دول جنوبي القوقاز وآسيا الوسطى. ووضع المحللون الأمريكيون المهتمون بهذه المنطقة من زاوية المشروعات البترولية التوصيات التالية : [5]

1)- تحدي كل المحاولات الروسية لجعل منطقة بحر قزوين خاضعة لنفوذها ورغبتها في وجود نظام شرعي عام في بحر قزوين والدفاع عن المطلب الأذربيجاني –الكازاخستاني بتقسيم بحر قزوين إلى مناطق اقتصادية

2)- الدفاع عن الممارسات الاقتصادية العادلة رغم نشاط الشركات الغربية في المنطقة

3)- الدفاع عن خيار الأنابيب المتعدد

ويمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية تريد من خلال خوض حربها في أفغانستان تحقيق مجموعة من الأهداف : أولها القضاء على المصادر الرئيسية للإرهاب الدولي، وهو أحد أولويات الحرب الأمريكية، خصوصا القضاء على تنظيم القاعدة و اعتقال أو قتل أسامة بن لادن، واستئصال ظاهرة "الأفغان العرب" الذين يشكلون خطرا على الوجود الأمريكي في الخليج وعلى المصالح الأمريكية في كل أصقاع المعمورة .

كما أن من أهداف الحرب الأمريكية استهداف إبعاد أو إسقاط حركة طالبان عن السلطة في أفغانستان، واستبدالها بنظام موالي للغرب، على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي دعمت منذ البداية، بهدف إزاحة قوى "الإسلام السياسي"عن السلطة والمتمثلة في أحزاب "المجاهدين "المتكونة من الإسلاميين المعتدلين بقيادة برهان الدين رباني وقائده العسكري احمد شاه مسعود (الذي اغتيل في 9 أيلول/سبتمبر2001)، والذين يمثلون طرفا إسلاميا معتدلا يحافظ على تواصل "الحركة الأفغانية الحديثة " مع التشكيلات الإسلامية التقليدية كالإخوان المسلمين وتحالف أصولي بقيادة قلب الدين حكمتيار الذي يجسد مشروعا إسلاميا راديكاليا .

عقب انهيار الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية انقلب السحر على الساحر، ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية وأطراف عربية دعمت حركة الإسلام السياسي، إذ برز مظهر جديد احتجاجي مناهض للسياسة الأمريكية في المنطقة ومساند للعراق. وقد وجد هذا الإسلام السياسي الراديكالي المناهض للغرب وللدول العربية الصديقة له، سندا قويا في الجمعية الإسلامية الباكستانية و حكمتيار والثري السعودي المنشق أسامة بي لادن، والذين أصبحوا ينادون جميعا بالجهاد ضد الأمريكيين.

وكانت هناك مصلحة مشتركة أمريكية مع الجيش الباكستاني، الذي يجسد المصالح العليا للأمة الباكستانية في الإطاحة بقلب الدين حكمتيار، الذي تربطه علاقة بمشروع ضياء الحق لإقامة "دولة إسلامية كبرى " والذي كان يملك ورقة "الأفغان العرب" الذين شاركوا في القتال ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان. وفي حالة تسلمه السلطة في كابول كان حكمتيار سيعمل على تثوير الحالة الإسلامية في باكستان نفسها، بل ربما سيعمل على إحياء

مشروع "باشتونستان" الذي قاتلت القبائل الباشتونية لإقامته ضد بريطانيا وضد الهند قبل وقت طويل من وجود باكستان نفسها، إذ يمثل الباشتون حاليا 9% من سكان باكستان البالغ هددهم نحو 120 مليون نسمة.

إضافة إلى ذلك كانت باكستان تخشى على الدوام وجود حكم قوي في كابول ، فكيف إذا كان حكما قويا بقيادة حكمتيار المتشدد الذي يرفض إنصاف الحلول ، والذي ينتمي إلى اثنية الباشتون التي هي بمنزلة القومية الغلبة في أفغانستان .وكان وجود حكم باشتوني قوي مصدر توتر مزمن بين باكستان وأفغانستان، لأن وجود حكم باشتوني قوي داخل الأراضي الباكستانية من مخلفات تقسيم الحدود في العهد البريطاني التي أملاها الصراع الروسي – البريطاني ، كان يجعل إسلام آباد تنظر باستمرار و حذر إلى احتمالات ولادة نزاعات باشتونية انفصالية داخل باكستان نفسها وتحديدا في الإقليم الشمالي الغربي الحدودي حيث يقطن الباشتون

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أيدت حركة طالبان ، وسياساتها في أفغانستان أملتها سياستها النفطية .فالتقويم الأمريكي لحركة طالبان أنها حركة أصولية صارمة عنيفة في بعض الأحيان، إنما مختلفة عن الحركات المماثلة في أفغانستان والمنطقة العربية ، والتي لديها برنامج سياسي طموح وأممي يشكل قوة ضغط لا تحتمله واشنطن .وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تنظر بإيجابية إلى حركة طالبان لكونها لا تدعو إلى تصدير الإسلام السياسي ولا إلى ثورة إسلامية .كما أن الأمريكيين قلقون من إيران ، ليس بسبب مزاعمهم حول دعم إيران لـ"الإرهاب" فحسب إنما أيضا لخوضها المنافسة مع باكستان على النفوذ في آسيا الوسطى لذا ساعد الأمريكيون باكستان على مد نفوذها في أفغانستان. ومهما يكن من أمر، فان السياسة الأمريكية في أفغانستان تقوم على تطبيق وصفة أرامكو في الثلاثينات: أصولية إسلامية وقبائل ونفط[6] .

ومن هنا نفهم أن واشنطن لم يكن لها مشكل أن تقبل بحكم إسلامي في افغانستان يقوم بأعمال تنتهك حقوق الإنسان، ولكنها لا تقبل بحكم يهدد المصالح الأمريكية أو يعارض نزعة الهيمنة الأمريكية .غير أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تقبل أن تستخدم أراضي افغانستان منطلقا لممارسة أعمال عدوانية ضدها، بعدما امتنعت حركة طالبان عن تسليم الأمريكيين بعض "الأفغان العرب" وفي مقدمتهم أسامة بن لادن الذي تعتبره واشنطن العدو رقم واحد لها.

إذا كانت حرب الخليج الثانية لعبت دورا حاسما في إعادة التعبئة للقوات المسلحة الأمريكية ،وبررت الحفاظ على الموازنات العسكرية المرتفعة وشرعية الحفاظ على القواعد العسكرية الكونية للولايات المتحدة، أي الشبكة الدولية لقواتها المساحة، و التي كانت توجه ضد ما يسمونه "الدول المارقة " التي من المحتمل حسب زعمهم أن تشكل تهديدا للتوازنات الاستراتيجية الإقليمية ،فان الحرب الأمريكية الجديدة ضد الإرهاب، تندرج في إطار استراتيجية إعادة تقسيم العالم من جديد لمصلحة الهيمنة الأمريكية فعلى عكس إدارة كلينتون التي أعطت أولوية لدبلوماسية الاقتصاد، وتنفيذ استراتيجية دولية ليبرالية تتمحور حول العولمة الناجحة، فان إدارة الرئيس كلينتون أعطت أولوية لدبلوماسية الاقتصاد، وتنفيذ استراتيجية دولية ليبرالية تتمحور حول العولمة الاقتصادية القائمة على التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال، فان إدراة الرئيس بوش تقوم بتنفيذ استراتيجية دولية ليبرالية تتمحور حول العولمة العسكرية التي تخدم مصالح تحالف الشركات البترولية ولوبي المركبات الصناعية– العسكرية والمحاربين ومخططين عسكريين ومدنيين المرتبطين بها والتي يتبوأ فيها المراكز الحساسة أمثال ديك تشيني، وكولن باول ودونالد رامسفيلد، وسواهم ممن شغلوا مناصب أمنية رفيعة المستوى سواء في وزارة الدفاع أو الاستخبارات خلال الحرب الباردة أو في المرحلة الانتقالية السوفيتية والحرب ضد العراق، فان هذه الإدراة نفسها هي إدارة حرب باردة، فهذه الإدارة تريد أن تمضي أبعد بكثير من حدود الهيمنة الأمريكية المعروفة تقليديا. فقد حاولت عبر سياسة القوة والسلوك الأحادي الجانب خلال الأشهر الماضية أن تجنب العلاقات العسكرية الثنائية مع الصين، وتعيد النظر في معاهدة الحد من الصواريخ الباليستية الموقعة مع السوفيات عام 1972م، من خلال قرارها القاضي بتطوير نظام مضاد للصواريخ، والإعلان عن نيتها عسكرة الفضاء ورفض اتفاقية كيوتو للبيئة .

وجاءت أحداث 11ايلول/ سبتمبر، لكي تعطي لهذه الإدارة الأمريكية مبررا قويا للدخول في الحرب التي تستهدف بناء نظام عالمي مبني على اللعبة الأحادية للعلاقات بين القوى ، وملاحقة أهداف الثروة والقوة المرتبطة بخدمة المصالح القومية الأمريكية الضيقة. والسؤال المطروح اليوم ، هل هذه الحرب الأمريكية الجديدة في آسيا الوسطى تتعلق بالقضاء على الإرهاب ؟ أم هو الجرح الأمريكي النازف؟[7]

لقد استعادت آسيا الوسطى أهميتها الاستراتيجية و الاقتصادية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وهي تمثل أسواقا هائلة لباكستان وروسيا، واكثر من ذلك تمثل ثروات كبيرة من النفط والغاز والمعادن الثمينة الأكثر أهمية في العالم .

وتأسيسا على المصالح الأمريكية النفطية في المنطقة وعلى نفوذها في مواجهة الدور الروسي وحتى الإيراني، ونظرا لما تمثله أفغانستان من أهمية استراتيجية مركزية في هذا الصراع الإقليمي، تخوض الولايات المتحدة الأمريكية ومن معها من التحالف الدولي الحرب تحت لافتة "القضاء على الإرهاب" لكنه من الصعب فهم ما يجري من استعداد لهذه الحرب التي كانت أأفغانستان

مسرحها الأول، من دون متابعة واقع المصالح الإقليمية و الدولية في آسيا الوسطى، والشرق الأوسط .ففي هذه المصالح تتحدد هذه الحرب، وليس في القضاء على الإرهاب فقط .

وكانت هذه المصالح دوما هي التي تمهد للحرب في افغانستان وربما تجعلها طويلة، كان تكون بلانهاية. والحرب الأمريكية في آسيا الوسطى مشرعة للتدخلات الإقليمية والدولية اكثر من أي وقت مضى، إذا لم يعقد مؤتمر دولي حول تحديد ماهية الإرهاب، الذي يحدد بدقة التخوم الفاصلة بين الإرهاب والمقاومة المشروعة للشعوب من اجل مقاومة الاحتلال و تحرير أوطانها كما هي الحال الشعب الفلسطيني، إذا لم تحصل تسوية إقليمية ودولية تنخرط فيها الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان، وروسيا وإيران والهند من جهة أخرى .

إن افغانستان تمثل عقدة استراتيجية مهمة بالنسبة لوسط آسيا (حيث أن أفغانستان على "تماس حدودي "مع ست دول الصين إيران باكستان تركمانستان أزباكستان، طاجيكستان) ومن ثمة ، ليس من المصادفة أن التماس "الجغرافي السياسي " يجعل هذا البلد(أفغانستان) على تخوم اثنين من الاهتمامات الأمريكية الاستراتيجية: الأول فتح طريق إلى آسيا الوسطى يكون بعيدا عن السيطرة الروسية ... والثاني، التحكم بالتوازنات الإقليمية –في آسيا– لجهة مراقبة نمو القوة في ثلاث دول . صنفته الدراسات المستقبلية الأمريكية ب"الدول الخصم "، وهي: الصين، روسيا، والهند .

أما حول المضاعفات التي ستحملها الحرب الأمريكية في افغانستان، فان كبار المحللين الاستراتيجيين يؤكدون أن أحداث 11 أيلول فتحت الباب على مصراعيه أمام الوجود العسكري الأمريكي المتزايد وغير المحدد بأي وقت في تلك المنطقة. لم يعد الأمر ينبع من مواصلة الحرب في افغانستان فحسب، بل من الاتفاقية الجديدة التي وقعتها واشنطن حديثا بشكل خاص مع أوزباكستان، والتي تسمح بوجود عسكري أمريكي في هذه الدولة التابعة لآسيا الوسطى. فهذه الاتفاقية توفر للأمريكيين استخدام القواعد العسكرية والتسهيلات اللوجستية هناك، وتمهد الطريق أمام استمرار الوجود العسكري الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى لزمن طويل ولا يستثني نشر قوات أمريكية بشكل دائم هناك، لمحاصرة ازدياد الهيمنة السياسية المشتركة للصين وروسيا في تلك المنطقة.

لذلك، فان الأهمية "الجيوسياسية " لحرب الولايات المتحدة في أفغانستان هي وضع موطئ قدم في منطقة آسيا الوسطى يوفر ترسيخ الوجود العسكري فيها. فهذا الوجود يعمل على إفساد أول تضامن صيني –روسي للهيمنة على آسيا الوسطى ويحفز على بداية حدوث تقارب بين موسكو وواشنطن، وهو ما تحقق بالفعل .

ولا شك في أن الحقائق الديمغرافية والاقتصادية ستحمل المزيد من التأثيرات خلال السنوات العشرين المقبلة على الواقع المهم لآسيا الوسطى في عالم السياسة والجغرافية الاقتصادية بغض النظر عن الحرب في افغانستان . وهذا ما يحدث الآن على نحو أكثر ومما هو متوقع وضمن ظروف مختلفة. فمضاعفات الحرب سيكون لها أبعاد واسعة على أوزباكستان، وتركمانستان، وطاجيكستان، وكازاخستان، وقرغيزيا أمام احتمالات زيادة واشنطن لمساعدتها وتجارتها ووجودها العسكري والدبلوماسي بعد انتهاء الأعمال العسكري في أأفغانستان .ولقد اصبح للوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان مردوده المباشر على آسيا الوسطى وبحر قزوين بما يعني تغيير الكثير من الحسابات والموازين الخاصة بمستقبل هذه المنطقة ثرواتها. وذلك بالدفع نحو إيجاد توازنات جديدة تصب في غالبيتها في معادلة المصالح الاقتصادية الجوهري للولايات المتحدة، وفي التأثير النفسي المتعلق بالهيبة التي تليق بمكانة القوة العظمى الوحيدة في العالم[8].

إن الخاسر الأكبر الأول من هذه الحرب هو بلا شك باكستان، لأنها تاريخيا تسعى لتامين عمق استراتيجي في افغانستان، يمكنها من تعزيز مكانتها الاستراتيجية في المنطقة لتعويض اختلال التوازن القائم لمصلحة جارتها اللدود الهند، لا سيما أن افغانستان وقفت إلى جانب الهند ضد استقلال باكستان عام 1947م. فتمركز القوات الأمريكية في أفغانستان، ومنحها كل التسهيلات البرية والجوية والبحرية لغزو افغانستان ، يهدد وحدة واستقلال باكستان بأكملها، أن لم نقل يعرضها إلى التفتيت العرقي والاثني والطائفي الديني.

والخاسر الأكبر الثاني من هذه الحرب هو إيران أيضا .وينبع الخوف الإيراني من واقع أم تفسح هذه الحرب للولايات المتحدة في السيطرة على أهم عقدة للمواصلات في قلب (آسيا وافغانستان) ووصول تلك السيطرة بشكل مباشر إلى قلب منطقة النفوذ الروسي التقليدي فيه، وكذلك الحرب الأمريكية في افغانستان والتي أكدت وتيرة الانحدار التاريخي للنفوذ الروسي في آسيا الوسطى. فروسيا لا تريد أن تكون القوات الأمريكية والأطلسية مرابطة على حدودها الجنوبية في باكستان وافغانستان.

إن آسيا الوسطى هي المنطقة الأكثر أهمية من الناحية الاستراتيجية لروسيا وكانت السيطرة الروسية عليها العامل الأساسي في إعطاء روسيا القدرة على السيطرة على نصف القارة الأوروبية ،وعلى مد نفوذها إلى أجزاء متعددة من الشرق الأوسط وشرق آسيا. ومن هنا ينبع الخوف الروسي من خسارة موسكو نفوذها في آسيا الوسطى لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وما الحرب الأمريكية في افغانستان إلا حلقة من حلقات الانسحاب الروسي من الفضاء الجنوبي للاتحاد السوفيتي .

أما الرابح الأكبر من هذه الحرب فهي إسرائيل التي تمارس إرهاب الدولة ضد الشعب الفلسطيني وتستغل أجواء هذه الحرب لشن حرب إبادة جماعية على المدنيين، وعلى إعادة

احتلال مناطق السلطة الفلسطينية، وتقويض هذه السلطة نفسها وبالتالي فرض الشروط الأمريكية الصهيونية لتصفية قضية فلسطين. وفي ذلك ذروة الإرهاب بما يفه من قوة عسكرية غاشمة وعدوانية قد تستطيع احتلال الأرض بمنئ من العقاب.

أما الهند فلها مصلحة مباشرة في دعم الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب في افغانستان لان الهند تعتبر وفقا للجيوسياسية أن غالبية الغزوات التي تعرضت لها في تاريخها جاءت من افغانستان كمركز انطلاق، سواء كانت غزوات مغولية أو فارسية أو إسلامية. كما أن تمركز القوات الأمريكية في باكستان يقود إلى القضاء على الثوار الإسلاميين في كشمير ضمن إطار القضاء على بؤر الإرهاب حسب المفهوم الأمريكي الشائع .

إن باكستان ستدفع غاليا ثمن اصطفافها على محاصرة إيران بجبهتين تحت السيطرة الأمريكية، (من الجنوب الخليج حتى الشمال، وافغانستان حتى بحر قزوين)[9].

وأما روسيا فتعتبر الخاسر الأكبر الثالث من أرضية استراتيجية أمريكية في هذه الحرب على آسيا الوسطى ،وقد يجد باشتون باكستان أنفسهم في وضع سيشعرون فيه أن مستقبلهم الحقيقي هو في افغانستان اكثر من مجامع السنديين والبنجابيين في باكستان .كذلك فان هذه الحرب قد تقود باكستان إلى تفجير الأوضاع في داخلها بين المؤسسة العسكرية الحاكمة وبين بقية الشعب الباكستاني الرافض للوجود العسكري الأمريكي، وبين السنة والشيعة في باكستان نفسها . والصراع بين السنة والشيعة لن يهدأ إذا استمرت الحرب وشعرت إيران باتساع الطوق الجيوسياسي المضروب عليها .

ستظل افغانستان وكل منطقة آسيا الوسطى مسرحا للحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وشريكتها باكستان وتطلعاتها إلى مخزون الثروات في آسيا الوسطى من ناحية، وبين الشعوب المتمردة على قواعد العولمة الأمريكية من ناحية ثانية. فالحرب الأمريكية الجديدة التي يعول عليها الرئيس بوش كثيرا سوف تؤول إلى الفشل الذريع ولا يبدو أن إدارته مدركة لذلك لان الإستراتيجية الهيمنة الأمريكية القائمة على عولمة العنف واستخدام القوة العسكرية الأمريكية الغاشمة لتركيع الشعوب والأمم، هي التي سينجم عنها حتما وجود قوى مناهضة ومقاومة لها.

إن الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب الأولى في القرن الحادي والعشرين تسير نحو مزيد من استجلاب العنف المضاد، لأن فبركة الأهداف، وإنزال العقوبات الرهيبة على العراق، والتغطية على جرائم إسرائيل ودعم إرهابها المحرم إدراجه في القاموس الأمريكي ، ستكون نتائجها بلا أدنى شك كارثية على الولايات المتحدة ومن يساندها.

فالمطلوب الآن هو أن تصبح السياسة الأسلوب الحضاري السائد لحل المعضلات الإقليمية والدولية بدلا من استخدام القوة العسكرية طريقا مفضلا لحل النزاعات، وأن تقر الولايات المتحدة الأمريكية بمبادئ العدالة، والتكافؤ في العلاقات الدولية، وفي توزيع الثروة، وفي اتخاذ القرارات التي تهم سكان المعمورة مجتمعين.

الإحالات :

[1] صامويل هانتينغتون زمن حروب المسلمين مجلة نيوز ويك العربية العدد 81 .2001/09/25 ص 48
[2] ميشال بوعنون امريكا التوتاليتارية ، ت عرفة جليل –دار الباقي ط1 2002
[3] توفيق المديني –الصراع على اسيا الوسطى مجلة سترون .....عدد 75 .1998/9 ص 23
[4] نفس المرجع
[5] مرجع سابق
[6] محمد سعد ابو عامود تحولات السياسة الامريكية مجلة السياسة الدولية عدد 147 يناير 2002 ص 96
[7] فريد هاليداي ساعتان هزتا العالم 11 سبتمبر :أسباب ونتائج .ت عبد الإله النعمي دار الباقي طبعة الأولى 2002 ص 26
[8] مرجع سابق ص 24
[9] احمد إبراهيم محمود .الإرهاب الجديد الشكل الرسمي للصراع المسلح . مجلة السياسة الدولية .... الأهرام العدد 147 .يناير 2002 ص 45

المراجع المعتمدة :

1-فرايد هاليدي ، ساعتان هزتا العالم 11 سبتمبر : أسباب و نتائج ، ت. عبد الإله نعيمي . دار الساقي. الطبعة الأولى 2002 .
2- ميشال بوعنون ، أمريكا التوتارية، ت . عربة خليل ، الطبعة الاولى 2002

3- توفيق المديني . صراع على آسيا الوسطى . مجلة الشرق الأوسط. العدد 75 . سبتمبر 1998
4- محمد سعيد أبو عمود . تحولات سياسية أمريكية . مجلة السيلسة الدولية. العدد 47 . يناير 2002
5- أحمد إبراهيم محمود . الإرهاب الجديد الشكل الرئيسي للصراع . مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الأهرام العدد 147 يناير 2002